

مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ

أُخِي :

قال تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴾ انظر إلى معاني الآية وتدبرها بكل ما أوتيت من فهم وقوة مستعيناً بالله في فهمها وإدراكها وهو ولي التوفيق وأقول : إن الإرادة هنا هي النية . فإذا كان مراد المؤمن الآخرة فإنه لا ينفك عن العمل من أجلها ولا يتخلف عن الركب متى ما كانت النية حازمة جازمة لأن الله سبحانه وتعالى بمقتضى نية العبد وإرادته يضاعف له السعى ويزيد له العمل حيث الحرث معناه العمل . فإن أعمال الآخرة لا نهاية لها فمن عمل إلى عمل ، ومن هداية إلى هداية . ولا نهاية للهداية . وقد علمت أخى أن المؤمن إذا خلُصت نيته وصفت سريره كشف الله بصيرته فيرى ما لا يرى الناس ويشعر بما لا يشعرون . وعليه نجده في حالة تعبئة عامة في كل لحظة من لحظات حياته لأن الاتجاه السليم إلى الله سبحانه وتعالى تتولد منه الحرارة الإيمانية التي لا تَدْعُ الْمُتَجِّةَ إِلَى اللَّهِ يَسْتَقِرَّ عَلَى حَالٍ . فمن عمل إلى عمل . ومن سعى إلى سعى ، ومن قلق إلى قلق ، ومن كشف إلى كشف ومن إدراك إلى إدراك إلى ما لا نهاية . ومن ذاق عرف . بهذه الآية وغيرها من آيات الكتاب نعلم ونفهم وندرك أن الدليل على صدق الطلب للآخرة هو شدة الإقبال على الله بالطاعات والعبادات ، والسعى بشتى الأنواع من الصالحات والمأثورات بحيث يكون الهم موقوفاً على الآخرة ، والرغبة متجهة إليها كلاً وجزئاً . وفوق كل ذى علم عليم فإن قوله سبحانه ﴿ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ﴾ يفيد أن هذه الزيادة خاصة بالأعمال التي يستدعيها الإيمان بالآخرة .

ولما كانت هذه الزيادة من الله فإنه لا آخر لها ولا نهاية . ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ ولربما تكون هذه الزيادة هي توفيق الله لعبده المرید « إنما الأعمال بالنيات . وإنما لكل امرئ ما نوى » .

وللعلم أقول : إن أعمال الآخرة لا حصر لها لأنها متعلقة بالله . وكل ما يتعلق بالله فهو من أعمال القلب . والقلب غيب ، والرّب غيب . وعليه أرجو أن نفهم جميعاً أن هذه الزيادة المشار إليها لها صلة بالإرادة التي مصدرها القلب . فهي زيادة خاصة بشعور القلب وإحساسه أكثر منه بأعمال الجوارح والأعضاء . انظروا إلى قلوبكم ومدى اتجاهها إلى الله وطريقتها في كسب مرضاة الله وما تنطوي عليه من الصدق والإخلاص ، المودة ، المحبة . فإن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء . واعلموا إخواني أن إخلاص ساعة ربّما يتضمن نجاة الأبد . واعلموا أن النية الصادقة هي التي تجلب المزيد من الله . والنية الصادقة معناها تجريد القلب من الحظوظ والشهوات بحيث لا يكون مقصوداً في الوجود إلا الله . ولا مطلوباً إلا هو . ولا مراداً إلا هو . ولا غاية إلا هو ؛ وذلك يتطلب جهاداً عنيفاً ونضالاً مريراً فليس من السهل طبع النفس على هذا اللون من الشعور والإحساس ، ولكنها تطيع بالزيادة التي تكون من الله . فاحرصوا على تصفية القلوب وتنقية النفس بتولّكم الله ويزدكم من الحرث . واعلموا أن الزيادة تتولد منها المحبة والمودة . فبعد أن كانت في أول الأمر صورة للأعمال تتغير هذه الصورة من شكل إلى شكل ومن وضع إلى وضع . ومن معنى إلى معنى حيث الأعمال واحدة . ولكن الذي يقبل الزيادة والنقصان هو القلب . فالصلاة مثلاً هي شكلاً وموضوعاً والصالحات الأخرى كذلك فتدبروا . وأضرب المثل للتأكد من هذا فأقول يذهب واحد من الناس إلى عيادة المريض . ويذهب آخرون معه . فالعيادة من حيث هي واحدة ولكنها تتفاوت قدراً واعتباراً من حيث المعنى القلبي والإحساس النفسي . فهذا قصده من العيادة والزيارة جبر الخاطر وردّ جميل سابق . وذاك قصده مجاملة سطحية يريد بها رفع اللوم والعتاب عنه . وثالث يقصد الاطمئنان على صحة المريض ، وسلامته . ورابع يقصد مرضاة الله عملاً بإيمانه واقتداء بسنة رسول الله ﷺ . وخامس يدفعه إلى هذا حب الاستطلاع العام على الأحوال . وسادس يقصد رفع الشاغل عن نفسه لما بينه وبين المريض من صلة وقربة . وسابع يشعر بذات المريض في نفسه . فالعيادة له كالدواء يتعاطاه لشفاء مرضه وعلته .

مرض الحبيب فعدته فمرضت من عطفي عليه
شفى الحبيب وعادنى فشفيت من نظرى إليه

هكذا قال إمامنا الشافعى رضى الله عنه . فانظر أخى إلى تعدد ألوان القلب وتقلبات أحواله . وهكذا شأن العبد مع ربه فى اتجاهه القلبى إليه بأعمال الآخرة .

أخى : قال تعالى : فى آية أخرى

﴿وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾

فاعلم أخى أن الإنسان إذا حصر إرادته ، وبنى نيته على الظفر بالدنيا فإن الله تبارك وتعالى يزيد له فى أسبابها ودواعيها وأعمالها ومراقبها بحيث لا يجد فراغاً لسواها . فهو أبداً مشغول بها ليله ونهاره . همه واهتمامه . ولذا لا يفرغ طالب الدنيا من الدنيا ولو بلغ ما بلغ منها وجمع ما جمع منها ؛ لأن الله تبارك وتعالى بمقتضى نيته وإرادته ، وما ينطوى عليه العبد من الرغبة فى الدنيا يزيد له فى حرثها . والزيادة من الله لا حصر لها . ومن كان هذا شأنه فإنه فارغ من نصيب الآخرة ، فلا يجد ما يأوى إليه يوم يخرج من دنياه . لماذا ؟ لأنه بمقتضى مشغوليته بالدنيا لم يعمل شيئاً للآخرة ؛ كأنه غير مؤمن بها ولا مصدق لها ، وربما كان يأتى بعض الأعمال المتعلقة بالآخرة ويدع الكثير ، ولكن لما كانت إرادة القلب قاصرة على الدنيا ، فلا وزن لعمله ، ولا قيمة لما كان منه حيث العبرة بالمعانى لا المبانى ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى . وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا . فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ وقد علمت أن الرغبة للآخرة تفسد الرغبة للدنيا أو تعطلها بعض الشيء حيث لا بد من رجحان إحدى الكفتين وتغلب إحدى الرغبةين . فما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه .

أخى :

إن الإنسان يكاد يعمل أعمال الآخرة ، ولكنه يريد بها دنياه مثل المرائى ، ومثل الذى يقصد بعمله كسب قلوب الناس وأن يكون له جاه

عندهم بدينه وإيمانه . ومثل الذى يعمل لإسعاد حياته الدنيوية من اكتساب وإنجاب ونجاح وفلاح وحفظ ورعاية ، وما إلى ذلك من التشابهات . ومثل الذى يعبد الله ويتهاقت عليه ليكون من أصحاب الخوارق والكرامات ، وما إلى ذلك من شتى الأعمال وأنواع الضلالة والبطالة والفساد . فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . ولقد صدق الله العظيم ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ .. ﴾ الآية .

* * * *

!